يوميات الكفاح والفداء و النصر

○ إعداد/ محمد الجرادي

المقاومة انطلقت مع دخول المستعمر وتكلّلت بثورة ردفان واستمرت حتى التحرير بحلقات وسلسلة طويلة من النضالات وأعمال المقاومة البطولية ضد الاستعمار والامامة سجلها المناضلون اليمنيون في طريق تحقيق الثورة الخالدة (26سبتمبر و14 أكتوبر و30 نوفمبر).. وفي الذكرى ال46 لثورة 14 اكتوبر المجيدة نتوقف قليلاً ونحاول ان نسترجع جزءاً من نضالات ابطال هذه الثورة وصانعيها الذين انبلج بفضلهم فجر الاستقلال في 1967م..

ولأن النضال كان طويلاً وغير منقطع طوال سنوات الاستعمار البريطاني فإن هذا الحيز لن يحتوي بالطبع إلاّ جزءًا ضئيلاً جداً من حلقات هذا النضال.. ولان الأحداث كثيفة وضخمة وكبيرة وهي تصنع تاريخ هذا الوطن وتمهد الطريق لفجر ثورته، فلقد حاولنا تلخيص هذه الأحداث في نقاط مختصرة نجملها فيما يلي:

– في اواخر القرن الثامن عشر الميلادي، والجزء الجنوبي من اليمن يعيش حالة من الضعف والهزال بسبب تقسيمه الى مجموعة من الدويلات القزمية والإقطاعيات المتصارعة فيما بينها.. وفي وقت كانت فيه هذه المنطقة من العالم تشهد تسابقاً استعمارياً شرساً من قبل الدولة الاوروبية، كانت عدن وبموقعها الاستراتيجي الهام على بوابة البحر الاحمر الجنوبية هدفاً لاطماع استعمارية بريطانية وفرنسية ونمساوية وايطالية وهولندية واسعة.

– في 1802 عقدت شركة الهند الشرقية البريطانية مع سلطان لحج –الذي كانت عدن تتبع له – إتفاقية حصلت بموجبها على امتيازات ضخمة في مرفأ عدن الذي كان يعتبر اهم مرفأ تجاري في هذه المنطقة، وسمح السلطان بموجب هذه الاتفاقية بشحن البضائع الى عدن بدون رسوم جمركية بينما حصل الوكيل السياسي البريطاني في عدن على حق البت في جميع الدعاوى بين رعاية الامبراطورية البريطانية ورعايا سلطان لحج.. وكانت بذلك عدن تفقد جزءًا من استقلالها لصالح بريطانيا.

احتلال عدن

– في 1819م وبعد ارسال عدد من السفن باتجاه سواحل اليمن، اجبرت شركة الهند الشرقية الامام في شمال الوطن على الموافقة على مرابطة حاميتها في المخاء، ونالت للبريطانيين حق الحصانة ودرجة دنيا من الرسوم الجمركية على بضائعهم، ولحاجة انجلترا في ذلك الوقت لقاعدة ارتكاز لسفنها بدأت تمارس ضغوطاً عسكرية وسياسية متزايدة على سلطان لحج وشيوخ القبائل انتهت بإرسال فصيلة اقتحام استعمارية بقيادة الانجليزي القبطان هاينس كان ذلك تمهيداً لاحتلال عدن..

– في 19 يناير 1839م تم الاستيلاء على عدن واصبح القبطان «هاينس» اول مندوب سامي لها بعد اخضاعها لرئاسة بومباي.

– في 18/6/1939م عقدت معاهدة جديدة بين شركة الهند الشرقية اعترف بموجبها سلطان لحج بالسيطرة الانجليزية على عدن، وبعد عدة اتفاقيات ومعاهدات اخرى انتقلت ممتلكات السلطان نفسه الى حماية «الامبراطورية البريطانية» لتصبح عدن بعد ذلك أول «سلطنة» تخضع للحماية البريطانية ولتتبعها فيما بعد بقية السلطنات والإمارات والمشيخات.

– في 1882م اشترى الانجليز من سلطان لحج مدينة الشيخ عثمان، وفي 1888م اشتروا جزءًا من الساحل الواقع بين عدن وشبه جزيرة البريقة، وفي 1915م احتلت القوات البريطانية جزيرة كمران التي كانت تخضع حتى ذلك الوقت للنفوذ التركي..

– في 1937م اعلنت اليمن مستعمرة للتاج البريطاني واصبحت تدار مباشرة من وزارة المستعمرات البريطانية.

– في 1956م وبعد فشل بريطانيا في جذب بقية الدول العربية الى «حلف بغداد» وفقدانها مواقعها بعد ذلك في مصر والعراق والسودان وعدد آخر من الدول العربية، انصب تركيز بريطانيا على عدن. وتم تحويلها الى أضخم قاعدة حربية بريطانية في شرق البحر الاحمر، وأُقيم عليها مقر القيادة العليا للقوات المسلحة الانجليزية في الجزيرة العربية وحولت هذه القيادة في مارس 1961م الى قيادة «الشرق الاوسط».

وبالاضافة الى عدن كانت القوات البريطانية تتمركز في مكيراس والضالع وبيحان ولحج وسلطنة القعيطي.

– في 1959/2/11م اعلنت السلطات الاستعمارية البريطانية رسمياً قيام ما اسمته باتحاد امارات الجنوب العربي، متكوناً من امارات الضالع وبيحان ومشيخة العوالق العليا وسلطنتي العوذلي والفضلي وسلطنة يافع، وفي الفترة من 1961م وحتى 1964م تم الحاق سلطنات لحج والعوالق السفلى الوحيدي والحواشب والشعيب وعدن والعلوي والمفلحي واتحاد دثينة ومشيخة العقربي ليبلغ عدد الولايات في هذا الاتحاد «17» ولاية يقطنها 900 الف نسمة.

انطلاق المقاومة

بالطبع لم تمر الحملة الاستعمارية التي قادها جنود الاحتلال البريطاني على جنوب الوطن بدون مقاومة رغم واقع الضعف والتفكك الذي كانت تعيشه البلاد.. ويمكن القول إن أولى الخطوات التي اتخذها الانجليز للسيطرة على عدن شهدت في مقابلها منذ اول اللحظات بروز بدايات حركة المقاومة الوطنية لصد المستعمرين.

فمنذ البدء لم تجد الحملة التي قادها هاينس في 1828م الطريق سالكاً لاحتلال عدن، ورغم الفرق الضخم ما بين المستوى ونوعية التسليح والتنظيم الذي كان يتمتع به الجيش البريطاني وبين أدوات وأسلحة المقاومة الوطنية البسيطة إلا أن مقاومة شرسة كانت تنتظر هذه الحملة في عدن حيث دارت معارك بطولية للمقاومة ضد زحف المستعمرين وسقط في هذه المعارك 139 شهيداً وجرح 25 مناضلاً في حين تكبد الانجليز المدججين باسلحتهم الضخمة والحديثة 15 قتيلاً وجريحاً.

وكانت هذه المعركة بداية سلسلة عظيمة متصلة من معارك اخرى خاضها اليمنيون باستبسال وبطولة ضد المستعمرين ورموز الاقطاع ومع بداية القرن العشرين كانت اعمال التمرد على سلطات الاستعمار تعم جميع الانحاء المحتلة في شكل انتفاضات عفوية للجماهير والقبائل في المواقع المختلفة.

وفي 1902م انتفض فلاحو حضرموت.

– في الاعوام 1957-28-18م خاضت قبائل ردفان سلسلة من اعمال المقاومة المسلحة ضد الاضطهاد الاستعماري.

– وفي الفترة من سنة 1926م حتى الخمسينات استمرت انتفاضة فلاحي قبائل الزبيري في العوالق حتى استطاعت ان تطرد بعض القوات البريطانية من المراكز العسكرية هناك مما أدى إلى قيام القوات الاستعمارية بشن غارات جوية بسلاح الطيران البريطاني على مناطق الثوار أحدثت خراباً واسعاً في تلك المناطق.

في مواجهة الطيران

– وفي 1958 حدثت انتفاضة يافع السفلى كواحدة من الانتفاضات البارزة في تلك الفترة.. وحينها استخدمت بريطانيا سلاح الطيران لضرب المنطقة التي يتحصن المناضلون فيها وفي مواجهة الصمود الذي ابداه الرجال وتصاعد اعمال مقاومتهم رغم القصف عادت الطائرات تقصف مواقعهم مرة اخرى في فبراير من عام 1959م.

– وفي 1958 اندلعت انتفاضة كبرى عندما عزمت السلطنة القعيطية على نزع السلاح من القبائل، فاندلعت اعمال التمرد من هذه القبائل، واتسع نطاقها بعد ذلك ليجد الحكام الانجليز أنفسهم مضطرين لطلب النجدة والمساعدة من القوات البريطانية في مستعمراتها بأفريقيا، ومرة رابعة كانوا مستعدين للاستعانة بسلاح الجو لمواجهة ثوار حضرموت الذين اعلنوا تواصل مقاومتهم حتى اجلاء آخر جندي بريطاني من أرض الوطن وتمسكوا بهذا الموقف رغم القصف الوحشي الذي قامت به الطائرات على مواقعهم والخسائر الكبيرة التي احدثتها في صفوفهم ومواقعهم ومنازلهم.

الانتفاضات الشعبية

الفترة نفسها شهدت عدداً من الانتفاضات الشعبية في العديد من المناطق، الامر الذي حوّل جميع انحاء الوطن المحتلة الى بوأر مشتعلة من الثورات والانتفاضات الشعبية المتواصلة ضد جنود الاحتلال وعملائهم وكانت هذه هي السمة الاساسية للاعوام حتى تفجرت ثورة ال14 من اكتوبر في 1963م وخروج المستعمرين في 1967م.

المنابر التنظيمية

– حتى بداية الاربعينيات من القرن العشرين اكتسبت الانتفاضات والثورات ضد الانجليز طابعاً عضوياً غير منظم . اذ لم تتبلور في الساحة حتى ذلك الوقت التنظيمات والقوى السياسية والحركات المنظمة التي كان يمكنها قيادة حركة الجماهير الى مواقع العمل المنظم والتخطيط الدقيق.

وفي الفترة من منتصف الاربعينات تقريباً شهدت البلاد نوعاً ظاهراً من تزايد الوعي الوطني، وظهرت بعض المنابر التنظيمية في شكل نواد وجمعيات ضمت في عضويتها عناصر وطنية مهمومة بالتغيير والاستقلال، وشهدت تلك الفترة تصاعداً في اعمال الحركة الوطنية ضد الاستعمار بدأت تتخذ لها قواعد فكرية وحماساً روحياً خاصاً تشبع بأفكار القومية العربية التي برزت في ذلك الوقت كتيار واضح بعد انتصار ثورة 1952م في مصر بقيادة جمال عبدالناصر، وكان آخرون من المثقفين اليمنيين قد تعرفوا بشكل كبير على الافكار الليبرالية والاشتراكية في وقت كان العالم يشهد تعاظماً لحركات التحرر من الاستعمار القديم في افريقيا وآسيا على وجه الخصوص.

– وفي مواجهة نشاط الحركات والنوادي المتكونة.. وبالضد من نزعة التوحد التي ظهرت في افكار اعضائها نشأت الجمعية العدنية التي طرحت شعار « عدن للعدنيين » ونادت بانفصالها عن بقية اجزاء الوطن.

– رداً على المناداة بانفصال عدن من قبل الجمعية العدنية ظهرت في نهاية الاربعينات وبداية الخمسينات نواة لحركة جديدة نادت بوحدة الوطن. هي رابطة ابناء الجنوب العربي التي اتخذت في بداية نشأتها موقفاً منادياً بوحدة اليمن والوحدة العربية الشاملة.

– وضمن هذه الانقسامات تكونت الجبهة الوطنية الموحدة «من جناح منقسم من بعض العناصر الوطنية الاخرى وطرحت شعار وحدة الوطن اليمني شماله وجنوب.. وأكدت ضرورة الثورة على الامامة والاستعمار معاً..

←